المحاضرة الرابعة

علوم الحديث

ما زلنا في:

البـــــاب الأول

الخـــبر

الفصل الثاني: تقسيمات خبر الآحاد.

المبحث الثاني: تقسيم خبر الآحاد بالنسبة إلى قوته وضعفه.

وعرفنا من خلال هذا المبحث الثاني أن:

خبر الآحاد ـ من مشهور وعزيز وغريب ـ ينقسم بالنسبة إلى قوته وضعفه إلى قسمين، هما:

أ- مقبول: وهو ما تَرَجَّح صِدْقُ المُخْبِرِ به.

ب- مردود: وهو ما لم يَتَرَجَّح صِدق المُخبِرِ به.

ثم عرفنا:

- أن الخبر المقبول ينقسم - بالنسبة إلى تفاوت مراتبه - إلى قسمين رئيسيين، هما: صحيح وحسن.

- وأن كلًّا منهما ينقسم إلى قسمين، هما: لذاته، ولغيره.

إذن أقسام المقبول في النهاية أربعة أقسام ، هي :

1- صحيح لذاته. 2- حسن لذاته.

3- صحيح لغيره. 4- حسن لغيره.

- ثم تناولنا بالشرح والتفصيل القسم الأول، وهو الصحيح لذاته.

وفي هذه المحاضرة - إن شاء الله - نتناول الأقسام الثلاثة الأخرى.

فنبدأ على بركة الله...

(ثانيًا) الحسن

ونتناول فيه ما يلي:

1- تعريفه.

2- حكمه.

3- مثاله.

4- مراتبه.

5- مرتبة قولهم: " حديث صحيح الإسناد " أو " حسن الإسناد".

6- معنى قول الترمذي وغيره " حديث حسن صحيح " .

7- تقسيم البَغَوي أحاديث (المصابيح).

8- الكتب التي من مظنات الحسن.

(ثانيًا) الحسن

والمقصود هنا: الحسن لذاته.

1- تعريفه:

أ- لغة:

هو صفة مشبهة من " الحُسْن " بمعنى الجَمال.

ب- اصطلاحاً:

اختلفت أقوال العلماء في تعريف الحسن؛ ويرجع هذا الاختلاف إلى:

1- أن الحسن متوسط بين الصحيح والضعيف.

2- أن بعض هؤلاء العلماء عرَّف أحد قسمي الحسن وترك الآخر.

وسنذكر بعض تلك التعريفات ثم نختار ما هو أوفق من غيره.

1- تعريف الخطابي: «هو ما عُرِفَ مَخْرَجُهُ، واشتهر رجاله، وعليه مَدَار أكثر الحديث، وهو الذي يقبله أكثر العلماء، ويستعمله عامة الفقهاء».

نقد هذا التعريف: تعريف الخطابي عليه انتقادات كثيرة، منها:

أن قوله: «ما عُرِفَ مَخْرَجُهُ، واشتهر رجاله» يصدق أيضًا على الحديث الصحيح.

2- تعريف الترمذي: «كل حديث يُرْوَى ، لا يكون في إسناده من يُتهَم بالكذب ، ولا يكون الحديث شاذا ، ويُرْوَى من غير وجه نحو ذلك : فهو عندنا حديث حسن».

نقد هذا التعريف:

- النقد الأساسي هنا أن الترمذي عرف أحد قسمي الحسن، وهو: الحسن لغيره، والأصل في تعريفه أن يعَرِّف الحسن لذاته ، لأن الحسن لغيره ضعيف في الأصل ارتقى إلى مرتبة الحسن؛ لانجباره بتعدد طرقه.

- كذلك فإن تعريفه يصدق أيضًا على الحديث الصحيح.

3- تعريف ابن حَجَر: «وخبر الآحاد بنقل عدل تام الضبط متصل السند غير معلل ولا شاذ هو الصحيح لذاته، فإن خف الضبط فالحسن لذاته» .

التعليق على تعريف ابن حجر:

الحَسَنَ عند ابن حجر إذن هو الصحيح إذا خَفّ ضبط راويه، أي قَلَّ ضبطه ، وهو خير ما عرف به الحسن.

4- التعريف المُخْتَار: ويمكن أن يُعَرَّفَ الحسن - بناء على ما عَرَّفه به ابن حجر - بما يلي:

«هو ما اتصل سنده، بنقل العدل الذي خَفَّ ضبطه، عن مثله إلى منتهاه، من غير شذوذ ولا علة».

2- حكمه:

هو كالصحيح في الاحتجاج به ، وإن كان دونه في القوة.

لذلك احتج به جميع الفقهاء، وعملوا به.

وذهب إلى الاحتجاج به أيضًا معظم المحدثين والأصوليين، إلا من شذ من المتشددين.

بل قد أدرجه بعض المتساهلين - كالحاكم وابن حبان وابن خزيمة - في نوع الصحيح، مع قولهم بأنه دون الصحيح المّبَيَّنِ أولا.

3- مثاله:

ما أخرجه الترمذي قال : حدثنا قتيبة، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي، عن أبي عمران الجوني، عن أبي بكر بن أبي موسي الأشعري، قال : سمعت أبي بحضرة العدو يقول : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف .....» الحديث.

وكان هذا الحديث حسناً لأن رجال إسناده الأربعة ثقات، إلا جعفر بن سليمان الضبعي، فإنه حسن الحديث.

4- مراتبه:

كما أن للصحيح مراتب يتفاوت بها بعض الصحيح عن بعض، كذلك فإن للحَسَن مراتب يتفاوت بها بعض الحَسَن عن بعض.

وقد جعلها الذهبي مرتبتين، فقال:

أ- فأعلى مراتبه ما اخْتُلِف في تصحيح حديث رواته وتحسينه:

مثل رواية:

بَهْز بن حكيم عن أبيه عن جده،

ورواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده،

ورواية ابن إسحق عن التيمي،

وأمثال ذلك مما قيل إنه صحيح ، وهو من أدني مراتب الصحيح.

ب- ثم بعد ذلك ما اختلف في تحسينه وتضعيفه:

مثل رواية: الحارث بن عبدالله، وعاصم بن ضَمْرَة، وحجاج ابن أرطاة، ونحوهم .

5- مرتبة قولهم: "حديث صحيح الإسناد" أو "حسن الإسناد" :

أ- قول المحدثين : "هذا حديث صحيح الإسناد" دون قولهم: "هذا حديث صحيح" .

ب- وكذلك قولهم: "هذا حديث حسن الإسناد" دون قولهم: "هذا حديث حسن".

فما السبب في ذلك؟

السبب في ذلك: أنه قد يصح الإسناد أو يحسن دون المتن الذي يكون ضعيفًا؛ لشذوذ أو علة.

- فكأن المحدث إذا قال : "هذا حديث صحيح" قد تكفل لنا بتوفر شروط الصحة الخمسة في هذا الحديث.

- أما إذا قال : "هذا حديث صحيح الإسناد" فقد تكفل لنا بتوفر شروط ثلاثة من شروط الصحة فقط ، وهي : اتصال الإسناد، وعدالة الرواة، وضبطهم، أما نفي الشذوذ ونفى العلة عنه فلم يتكفل بهما؛ لأنه لم يتثبت منهما.

- لكن لو اقتصر حافظ مُعتَمَد على قوله: "هذا حديث صحيح الإسناد" ولم يَذْكَرْ له علة، فالظاهر: صحة المتن أيضًا؛ لأن الأصل عدم العلة وعدم الشذوذ.

6- معنى قول الترمذي وغيره: "حديث حسن صحيح" :

ظاهر هذه العبارة مُشْكِل؛ لأن الحسن يتقاصر عن درجة الصحيح ، فكيف يُجْمَعُ بينهما مع تفاوت مرتبتيهما؟

أجاب العلماء عن مقصود الترمذي من هذه العبارة بأجوبة متعددة.أحسن هذه الأجوبة ما قاله ابن حجر، وارتضاه السيوطي.

وملخصه ما يلي :

أ- إن كان للحديث إسنادان فأكثر فيكون المعني:

"حسن باعتبار إسناد ، صحيح باعتبار إسناد آخر" .

ب- وإن كان له إسناد واحد فقط فيكون المعني:

"حسن عند قوم، صحيح عند قوم آخرين" .

فكأن قائل "حديث حسن صحيح" - بحسب هذا الرأي الأخير - إما:

- أنه يشير إلى الخلاف بين العلماء في الحكم على هذا الحديث،

- أو أنه لم يترجح لديه الحكم بأحدهما.

7- تقسيم البَغَوي أحاديث كتاب (المصابيح):

اسم هذا الكتاب: "مصابيح السنة" .

وهو كتاب جمع فيه مؤلفه - الإمام البغوي - أحاديث منتقاة من الصحيحين والسنن الأربعة وسنن الدارمي.

وقد دَرَجَ الإمام البغوي في كتابه "المصابيح" على اصطلاح خاص به، وهو أنه يرمز إلى الأحاديث التي في الصحيحين أو أحدهما بقوله: "صحيح" ، وإلى الأحاديث التي في السنن الأربعة بقوله: "حسن" .

وهذا اصطلاح لا يستقيم مع الاصطلاح العام لدى المحدثين.

لماذا؟

لأن في السنن الأربعة: الصحيح والحسن والضعيف والمنكر من الأحاديث، فليس كل ما فيها من الحديث الحسن.

لذلك نبه ابن الصلاح والنووي على ذلك.

فينبغي على القارئ في كتاب " المصابيح" أن يكون على علم باصطلاح البغوي الخاص في هذا الكتاب عند قوله عن الأحاديث: "صحيح" أو "حسن".

8- الكتب التي من مظنات الحسن:

مظنات: جمع مظِنة -بكسر الظاء-، ومظنة الشيء: معدنه وموضعه؛ فيكون معنى هذا العنوان: الكتب التي هي موضع وجود الحسن.

لم يفرد العلماء كتباً خاصة بالحديث الحسن المجرَّد كما أفردوا الصحيح المجرد في كتب مستقلة، لكن هناك كتباً يكثر فيها وجود الحديث الحسن.

فمن أشهر هذه الكتب :

أ- "جامع الترمذي" - المشهور بـ "سنن الترمذي" - :

فهو أصل في معرفة الحسن ، والترمذي هو الذي شهره في هذا الكتاب، وأكثر من ذكره .

لكن ينبغي التنبه إلى أن نُسَخَه المخطوطة تختلف في قوله: "حسن صحيح" ونحوه في مواضع عديدة، فعلى طالب الحديث العناية باختيار النسخة المحققة والمقابلة على أصول معتمدة.

ب- "سنن أبي داود" :

فقد ذكر أبو داود في (رسالته إلى أهل مكة) أنه يذكر في "سننه" : الصحيح وما يشبهه ويقاربه ، وما كان فيه وَهَنٌ شديد بَيَّنَه، وما لم يذكر فيه شيئاً فهو صالح.

فبناءً على ذلك: إذا وجدنا فيه حديثاً لم يبين هو ضعفه ، ولم يصححه أحد من الأئمة المعتمدين، فهو حسن عند أبي داود .

ج- "سنن الدار قطني" :

فقد نص الدارقطني على كثير منه في هذا الكتاب .

(ثالثًا) الصحيح لغيره

ونتناول فيه ما يلي:

1- تعريفه.

2- سبب تسميته بذلك.

3- مرتبته.

4- مثاله.

5- شرح المثال.

1- تعريفه:

هو الحسن لذاته إذا رُوِيَ من طريق آخر مِثْله أو أقوى منه.

2- سبب تسميته بذلك:

سُمي هذا النوع صحيحاً لغيره لأن الصحة لم تأت من ذات السند، وإنما جاءت من انضمام غيره له.

ويمكن تمثيل ذلك بهذا الشكل:

حسن لذاته + حسن لذاته = صحيح لغيره.

3- مرتبته:

هو أعلي مرتبة من الحسن لذاته، ودون الصحيح لذاته.

فهو في المرتبة الوسطى بينهما.

4- مثاله:

الحديث الذي يرويه: محمد بن عمرو ،عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة" .

5- شرح المثال:

قال ابن الصلاح:

(فمحمد بن عمرو بن علقمة: من المشهورين بالصدق والصيانة،

لكنه لم يكن من أهل الإتقان، حتى ضعفه بعضهم من جهة سوء حفظه، ووثقه بعضهم لصدقه وجلالته،

فحديثه من هذه الجهة حسن،

فلما انضم إلى ذلك كونه رُويَ من أَوْجُهٍ أخَرَ زال بذلك ما كنا نخشاه عليه من جهة سوء حفظه، وانجبر به ذلك النقصُ اليسيرُ،

فصح هذا الإسناد، والتحق بدرجة الصحيح)؛

أي: صار صحيحًا لغيره.

(رابعًا) الحسن لغيره

ونتناول فيه ما يلي:

1- تعريفه.

2- سبب تسميته بذلك.

3- مرتبته.

4- حكمه.

5- مثاله.

6- شرح المثال.

1- تعريفه:

هو: الضعيف إذا تعددت طرقه، ولم يكن سببُ ضعفه فِسْقَ الراوي أو كَذِبَه.

يستفاد من هذا التعريف أن الضعيف يرتقى إلى درجة الحسن لغيره بأمرين هما:

أ- أن يُرْوَى من طريق آخر فأكثر ، على أن يكون الطريق الآخر مثله أو أقوى منه، وليس أدنى منه.

ب- أن يكون سبب ضعف الحديث إما:

1- سوء حفظ راويه،

2- أو انقطاع في سنده،

3- أو جهالة في رجاله .

2- سبب تسميته بذلك:

سُمي هذا النوع حسنًا لغيره لأن الحسن لم يأت من ذات السند الأول، بل كان في الأصل ضعيفًا، وإنما أتى من انضمام غيره له.

ويمكن تمثيل ذلك بهذا الشكل:

ضعيف + ضعيف = حسن لغيره.

3- مرتبته:

الحسن لغيره أدني مرتبة من الحسن لذاته .

وينبني على ذلك: أنه لو تعارض الحسن لذاته مع الحسن لغيره قُدِّمَ الحسنُ لذاته .

4- حكمه:

هو من المقبول الذي يُحْتَجّ به .

5- مثاله:

ما رواه الترمذي – وحَسَّنَه - من طريق شعبة، عن عاصم بن عبيد الله، عن عبدالله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه، أن امرأة من بني فَزَارَةَ تزوجت على نَعْلَيْنِ، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "أرضيتِ من نَفْسِكِ ومالِكِ بنعلينِ؟" قالت: نعم ، فأجاز.

قال الترمذي : "وفي الباب عن عمر وأبي هريرة وعائشة وأبي حَدْرَد" .

6- شرح المثال:

عاصم بن عبيد الله: ضعيف لسوء حفظه.

لكن حسن له الترمذي هذا الحديث لمجيئه من غير وجه، كما هو واضح من تعليقه السابق.

وفي ختام أقسام المقبول نتكلم عن مبحث متعلق بهما، وهو:

خَبَر الآحاد المَقبول المُحْتَفّ بالقَرائِن

ونتناول فيه ما يلي:

1- توطئة.

2- أنواعه.

3- حكمه.

1- توطئة:

المراد بالمحتف بالقرائن: أي الذي أحاط به واقترن به من الأمور الزائدة على ما يتطلبه المقبول من الشروط.

وهذه الأمور الزائدة التي تقترن بالخبر المقبول تزيده قوة، وتجعل له ميزة على غيره من الأخبار المقبولة الأخرى، الخالية من تلك الأمور الزائدة، وترجحه عليه.

2- أنواعه:

الخبر المحتف بالقرائن أنواع، أشهرها :

أ- ما أخرجه الشيخان في (صحيحيهما) مما لم يبلغ حد المتواتر، فقد احتف به قرائن منها :

1- جلالة الشيخين في هذا الشأن.

2- تقدمهما في تمييز الصحيح على غيرهما .

3- تلقى العلماء لكتابيهما بالقبول.

وهذا التلقي وحده أقوى في إفادة العلم من مجرد كثرة الطرق القاصرة عن التواتر.

ب- المشهور إذا كانت له طرق متباينة سالمة كلها من ضعف الرواة والعلل.

ج- الخبر المسلسل بالأئمة الحفاظ المتقنين حيث لا يكون غريبا:

كالحديث الذي يرويه الإمام أحمد عن الإمام الشافعي، ويرويه الشافعي عن الإمام مالك، ويشارك الإمام أحمد غيره في الرواية عن الإمام الشافعي، ويشارك الإمام الشافعي كذلك غيره في الرواية عن الإمام مالك.

3- حكمه:

هو أرجح من أي خبر مقبول من أخبار الآحاد.

فلو تعارض الخبر المحتف القرائن مع غيره من الأخبار المقبولة قدم الخبر المحتف بالقرائن .

واجب هذه المحاضرة

ذكر السيوطي في آخر كلامه عن الحديث (الحسن) ألفاظًا أخرى تطلق على الحديث المقبول.

والمطلوب هو:

ذكر هذه الألفاظ، مع بيان معناها باختصار.

‘‘‘

اسأل الله لي ولكم التوفيق والسداد

أخوكم المهاجر